سياسة امرأة

بقلم الكاتبة الشاعرة الاستاذة

جميلة العلايلى

ملاحق « الصباح » الروائية

مطبعة جريدة « الصباح » بمصر

سياسة امراة

بقلم الكاتبة الشاعرة الاستاذة

جميلة العلايلى

ملاحق « الصباح » الروائية

مطبعة جريدة « الصباح » بمصر

سياسة امراة

كان الرجل فى سجنه تحت رحمة الله والانسان ينتظر القضاء المجهول الثابت فى علم الغيب المرسومة ظلاله على صفحة الافق الالهى . .

ثم فتح الباب ودخل القدر يعلن حكمه فجمدت عين الرجل وسقط راسه على يديه فوق المنضدة فى شبه اغماء فكان سكون وكانت غيبوبة طويلة

ليس الرجل جبانا فيفزع من حكم الاعدام انما احس الخسارة الفادحة وقد كان يأمل ان يعيش ما تبقى من حياته سعيدا

غاب عن عالم الحس ليستجلى فى الظلام اول السبيل على طريق العدم المحتوم

وليس من السهل على المبصر الابصار فى الظلام ولو خلق اعمى لاستعان على الرؤية باللمس والحس

وليس من السهل أيضا استيضاح الغوامض فى الاجواء المختلفة ولا استفسار الالفاظ لادراك معانيها مادام الموت قد دقت ساعته

ولكن المحكوم عليه بالاعدام يتطلع فى آخر لحظة من الحياة الى الجلاد والى حبل المشنقة

يطبع على عينيه قبل الرحيل صورة القسوة منقولة عن وجه القاتل ويتصور حبل المشنقة المعبر الاخير من الحياة الى الموت ... !!

وليس فى مقدور الميت ان يحب جلاده فلا يبتسم له بسمة الوداع انما ابتسامة الموت

وكذلك ليس فى طوقه أن يكره الجلاد لانه يد القدر مصدر الحياة كما هو مصدر الموت

أخيرا ظل الرجل يكرر فى غيبوبة صيغة الحكم الصادر عليه ويتطلع الى صورة فتاته الذهنية ويتمثل ورق الكتاب وخط الكتاب

ودق الباب وتكرر حتى زاد فى عنف واذا بالطارق يوقظ الميت يسلمه رسالة من انسان ناعم الى حزين قانط

وهذه البرقية من عظيم يملك الملايين الى فقير معدم لم يعد يملك حتى حياته .

ويأمر صاحب الرسالة بارسال بعض غزلان جميلة فى القطار

السريع داخل أقفاص خاصة واذا تعذر الامر فترسل فى قطار خاص

ويفهم أن مصدر هذا التعجل رغبـــة قوية تامر فى عنف صادر عن عاطفة مشبوبة قاهرة ويقول صاحب الامر انه يجب ان تصل الغزلان صباحا لتهدى مساء فى حفلة خاصة لحسناء افتتن بها كما افتتن هو بفتاته وهنا تصور انه بعث الغـزلان فورا واستقبلتها الحسناء كهدية فى غفلة من الرغبة التى امرت وعن الجهد الجبار الذى بذل ـ تقبلها بابتسامة هادئة تتبعها كلمة شكر خافتة ، اما هو فلم يكن يملك سوى روحه الحائر وقلبه المكلوم فعرضهما بدلا من هدية !! ... وفتاته لم تبتسم وانما اغمضت عينيها عن الروح وداست القلب المقروح

وشمله سكون طويل ...

وانسرحت روحه فتطلع من نافذة السجن الى الفضاء والى النيل الوديع الهادىء يجرى الى مستقره كمـــا كان ... والجزيرة قائمة بأشجارها الظليلة الوارفـــة وغابات النخيل القائمة ، والجبل الراصد يحدد الافق ويختم مشاهد الطبيعة فى تلك الزاوية من صفحة الكون ولكن ...

ولكن صفحة النيل فقدت الصفاء فى عين الميت وانقلبت كدرة تحبس عن النظر جلال الاعماق وتصدر نقيق الضفادع والجزيرة الحالمة المستسلمة للموج العابث لم تعد لهـــا بهجة كما كانت ...

وازدهار الارض البادى من بعيد يتراءى له كالارض الجرداء وقد وضحت أوراقها الجافة وحشرات النبات وقد رسمت فى بصر الميت تلول الاحجار والرمال المحرقة ركاما من القسوة وتصور الوحشة فيها الافاعى تنساب !! ...

وتطلعت العينان الى الفضاء الواسع والى الاثير اللا محدود وكأنها تظهر للحى صورة فتانة واضحة باســـمة فى الاطار الروحانى ...

أما اليوم فانه فقد كل شىء فى ظلام اليأس وحبس الافق الصورة المرسومة على صفحة خيال فؤاده وتعمق البصر فى البحث ثم ارتد فى يأس وفقد الميت قوة الجسم فاسند رأسه الى النافذة وسقط بصره على الارض ... فرآها فجوة عميقة مظلمة بعيدة الظلام الى العدم التام ـ كالقبر تماما

ودار السجين فى الحجرة الواسعة دورة النشاط الزاخر ومن المحقق أنها سكرة الحياة تستقبل العدم . لذا تطلعت

العين الى كل شيء تودع فيه الحياة وكل شيء هو صورة حبيبته وما بقى عنده من حنين وذكرى ...

وقام الى مكتبه ليجمع رسائل فتاته ثم أوصى خادمه ان يسلمها اليها يدا بيد بعد أن يموت لتحرقها بيدها وهو يعتقد انها نبيلة ستحترم وصية الميت وتنفذها وهـــذه الوريقات معدومة القيمة ، ولكن فيها حياة كامنـــة من زفرات وآهات وهمسات وخفقات لم ترها عين غير عين الله ولم تسمعها اذن الا اذن الاله فهى فى اعتباره لها قداسة ليس من الحكمة ان تبقى فى يدى أى انسان حتى ولو كانت حبيبة قلبه ، اذن فيجب ان تحرق بالنار فيكون فى اللهب المشتعل آخر اثر من حياة رجل وأنفاسه

اتما كتاب الفتاة الاخير ؟؟ ...

هل يرد إليها بدون تفسير ؟

لقد ضاع مصدر الوحى فامتنع الايحـــاء والوحى وقضى عليه بالموت !! ...

وهى ستبقى فى الحياة ولكنها تجهل الحياة ! فلماذ لا يفسر الميت العالم للحى الجاهل بعض معانى الحيـــاة قبل ان يودع الحياة ؟؟ ..

تقول الفتاة فى خطابها وتعنى اتهامه :

انك تتخيل فتكتب وتحلم فتشعر وتحب لتتسلى

وهو يقسم أن كل كلمة اختارها فى عبـــاراته وكل معنى رسمه بالالفاظ صورة صادقة من فؤاده ـ لكن الفتاة تعتقد ان الرجل المتزوج لا يمكن ان يخلص فى حبه لانه موزع الفكر والحس والخاطر فهو اما ان يكون قد تزوج عن حب فيكون لا مبدأ له ولا ثبات عنده واما ان يكون زواجـــه عن طيش وغرض فيكون ضعيف الارادة يعيش تحت سلطة الاهواء ، واذا سهل عليه خيانة امرأة ربطت الشريعة بينهما فما أيسر خيانة امرأة لا يخاف الله فيها !!

ويسكن الرجل السجين مفكرا فى هذه الهواجس التى نوهت عنها الفتاة ؟! ...

ثم تنتابه ثورة عاطفية فيصرخ من أعماقه بغير صوت :

ايها الاله ، أنت وحدك المطلع على خفايا الضمائر واسرار الصدور واتجاه العاطفة ووثبة الروح فاذا جهلت فتاتى الصدر الذى صدرت عنه عاطفتى فلأنها قاصرة النظر الفكرى قليلة الايمان بالثقة الاكيدة ولها العذر لان علاقات الناس القائمـــة

مشوهة افسدت حقائق الوجود وحطمت بنيان العاطفة الصريحة السليمة ..

يا اله السماء ....

بجرة قلم تمحو الفتاة من عالم الوجود ما عرفت الروح من آلام وبهجات وما احتملت من انفعالات وما صعدت من زفرات ...

ولكن اليست الفتاة بشرية ، تذبح الحيوان لتاكله وتدوس النملة ولا تشعر بآلامها وتجنى الزهرة لتطرحها بعد لحظة عند مواطىء الاقدام ... ؟

فليس من العجيب أن تذبح فتاتى الرجل كما تفعل بالحيوان وتدوسه كما تدوس النملة ثم تطرحه كما تطرح الزهرة ولا عجب فى ذلك لانها بشرية تحس بالطبيعة ... انها امراة تملك الرجل على الرغم من ايمانه بانه مالكها وتشعر شعور المرأة فتشك وتتردد وتخاف وتنكص

يالله ... لقد ظنها اسمى من امراة ، لذا رسم عواطفه واشجانه وآماله فى غير حذر وصور كل ماجاش فى صدره بمداد من عصارة فؤاده وروحه

فهل تدرى انها كانتى ذرة ضائعة بين الذرات لاتحمل على البحث عنها بالتطلع اليها ولكن ولعه ينصب على ناحيتها الروحية وحدها ... ولو فكرت لادركت أن ولع روحه بروحها كان على مثال ولع زوج الجنس كله بروح الجنس كله أنما فى تحديد ...

ظنت الفتاة انه يحبها ليلهو بها شأن كل رجل فى ذاك العصر الموبوء وظنته أخا حب وقتى ولدته الرغبة الطارئة ثم لا يلبث أن يزول وظنته غادرا لانه غدر بزوجته الاولى لذا ترفض فى كبرياء أن تقبله زوجا وتأبى ان تبادله حبا وهو يدافع عن نفسه ويؤكد لها انه تزوج المرأة الاولى مرغما تحت تأثير الحاح أهله

وهى تحتج بعنف على ادعائه وتقول : ما ذنب المسكينة اذن؟ ألا يمكن ان يروضها على طباعه وميوله ثم الا يحتمل ان يكون حبه لهذه الفتاة وثبة طيش لا تلبث حتى تزول ؟ ... وماذا يكون مصيرها اذا أقامت سعادتها على عاتق امراة أخرى بريئة كل ذنبها أن الرجل لم يفهمها وتزوجها مرغما كما يقول ؟

وتصورت الفتاة مصير المرأة المؤلم وشقاءها المنتظر وتخيلت هواجس روحها المكلومة وصراخ قلبها المظلوم واستطاعت أن

تتطلل فى اعماقها متخيلة نفسها مكانها فهالها الحقد الذى يكنطرها والكراهية والاحتقار اللذان يتاهبان لملاقاتها فى كل بيت اذا دخلته وكل طريق تتمشى فيه ... هذه فلانة التى اخذت فلانا زوج فلانة ... !!

لن يقولوا ... احبها فتزوجها ... بل سيقولون احبته فاغتصبته لان المراة هى المظلومة ابدا مهما تكن بريئة وهى محور الاشاعات حتى ولو كانت بعيدة

لذا حاولت جهدها ان تصارحه بما يجول فى ذهنها وان تصلح بينه وبين زوجه وراحت تنصحه بترويضها لتكون له كما يريد ان تكون ونزولا على ارادتها تكلف الطاعة ثم صارحها بعد مدة بانه فشل تماما واكد لها انه لا يمكن مطلقا اصلاحها لشراسة اصيلة فى طبعها وجمود ثابت فى حسها

واستسلمت الفتاة لخواطرها يدنيها القلب الحساس الرحيم كلما اشعرها بعذابه وما يعانيه من الم مبرح ويقصيها عنه العقل الحكيم المتزن كلما تصورت عذاب المراة البريئة

وهى بين هذين الاحساسين مترددة حائرة قلقة تلين آنا وتتردد أحيانا ...

انه يضع حياته بين يديها ، وزوجته حياتها بين يديه

اما هى ... فحياتها بين يدى القدر

فما عساها تفعل ؟ لشد ما هى حائرة

قد تعمد زوجه على الانتقام منها لاعتقادها انها هى التى افسدت عليها حياتها وسلبت منها قلب زوجها واغتصبته كرها بل مجرد تصور ذلك يجعل حياتها محنة لا تطاق ... ولو رفضته ، سيحزن ثم يتأسى ثم ينسى وقد تبدو لهزوجته بعد هذا الرفض فى اطار من الروعة يجذب قلبه اليها اذن ، فيجب ان ترفض يده ولو كان فى ذلك عذاب قلبها الذى يحبه لتسعد براحة الضمير ... !!

كان ذلك حالها بينما لم يمر ذلك بخاطر الرجل الذى كان يشعر ان رفضها كحكم الاعدام تماما ... انما عنيت بالورق الذى كتبت عليه الحكم فاختارته ناعما يغرى على التطلع اليه وعنيت بصيغة الحكم فوضعتها رقيقة بليغة فتقول :

من اجل سعادتك وهنائك وراحة ضميرك ارفض يدك لن ازف اليك وحدى ... سيحوط بى القلق والالم والمرارة وستجد الخيال البديع الذى رسمته بعواطفك طوال عام .. مخيفا مروعا يبعث الاسى واليأس والعذاب ..

انى ارفض يدك لاكفل لك سعادة دائمة محققة على مر الايام فان كنت تحبنى حقا فاعرض عنى ولا تتزوجنى لاعيش براحة ضميرى وهدوء نفس راضية

والله ارجوه ان يهيىء لك من زوجك جنة تحبوك بالراحة والرعاية والحب والحنان

فاذا كان حبك طاهرا اكيدا فخير لك ان تعيش باحلامه وحده بدل ان يتحطم قلبك على صخرة الرغبة الطارئة وحسبك . . .

***

لم يكد يقرأ ذلك حتى أحس أن صاعقة تنزلت عليه لكنه ابتسم فى مرارة وغمغم مخاطبا نفسه : يا للشيطان ، اى حكم حمله الى على لسان ملاكى ، وهل املك ان احصل منها الا على الحب البرىء فى حدود الطهارة ، وهل تخطيت هذا الواجب الى ابعد من آفاقه ؟؟ . . .

وهل كنت اطمع منها الا فى قلبها . . . وا اسفاه !

لقد نظرت الى الشعلة المقدسة فى حبى بعين امرأة عادية وظنتها وثبة الشهوة للجسد وللشهوة الف متاع اظهر منها اذا وجدت الشهوة فلتطمئن ملاكى !!

لقد اضلتها الفطنة عن الحقيقة وسار بها الحذر الى اقصى حدود الاستهانة بالرجولة ، ثم الى الاستخفاف بانسان يحب بروحه فى حدود الروحانية ، ويريد أن يصون هذا الحب من اعاصير الحياة الباطلة . .

فيضم كيانها الى كيانه فى كنف الزوجية

وقام الرجل فى هدوء متمشيا فى الغرفة مخاطبا نفسه بصوت خفيض تمتزج به حرارة وجدانه متخيلا صورتها الجميلة الساحرة قبالته

يا ملاكى . . .

أحببتك فى تقديس وفكرت فيك فى طهارة ولطالما قلت لك مناجاتى طاهرة كماء الوضوء مقدسة كالصلاة فلم تفهمينى ؟!

ثم اتجه مسرعا صوب فراشه وأخرج من تحت الوسادة آخر رسائلها فمر عليها بعينين دامعتين ثم رماها على الفراش وهو يدمدم لم تكتب فتاتى حكم الاعدام عبثا ، بل عمدا بعد تأمل طويل وتفكير . . .

فلتكن مشيئتها اذن !

وحسبى أن قلبى عرف المسرة بسببها برهة قصيرة ولاتقبل

الحكم الصادر على فى سكون واستسلام وأقدم نفسى لجلادى غير مكتوف بل فى طاعة وخشوع واجـــلال وعاد الى المقعد مرتميا عليه فى شبه اعياء ثم تناول القيثارفى كآبة وراح يتاملها فى التياع وهو يقول :

منك صدرت أنغام فؤادى المبتهج وبك اســـمعت فتاتى انات قلبى الممزق ...

وعليك كنت أعزف موسيقى الروح الحائر ومنك استلهمت اناشيد البلبل الصداح الشاعر ولكن شاءت الاقدار أن يكون لحنك ترتيلة الموت المرتقب ..

ثم بكى كالطفل وحطم القيثار فى عصبية ظاهرة كأن الوعى خانه ... وطرحه بعيدا وقد بدا أمامه صورة مهلهلة للفتاة

ووثب الرجل الى ناحية المنضدة ولف على عنقه حبـــل المشنقة ، ثم تذكر رسوله الذى بعثه اليها برسالة يستودعها فيها آخر ما بقى عنده من رجاء وحب ويتوسل اليها أن تزور قبره وقد أرسل اليها خاتمه وأوراقه الخاصة وساعته

وظل ممسكا الحبل مترقبا دقات الساعة التى حـــددها منتظرا عودة الرسول وقد كاد صبره ينفد واليأس يتراءى أمامه كشبح مخيف يلوح له بشارة الحداد

وفجأة فتح الباب ودخلت الفتاة ...

فتطلع اليها فى هدوء وخشوع قائلا : نفذى

فمدت يدها وأنقذت عنقه ثم كانت دمعة فابتسامة فقال الرجل وهو راكع تحت قدميها مقبلا يدها وقد بللها بالدموع : لم أنقذتنى ؟ وسعادتى فى الموت ... فنظرت اليه الفتاة فى هدوء قائلة : رأيت فى طريقى صبيا يلقى حجرا فى النهر فسقط الحجر وغاص وضاع ثم دارت على سطح الماء دوائر مائيـــة اتسعت قليلا ... قليلا حتى ضاعت على صفحـــات الماء الجارى ، ووثب الصبى يجرى ليبحث عن حجر آخر ..

فقاطعها ... كان هذا مصيرى ... اضيع وراء العـــدم بينما انت تبحثين عن رجل آخر

فقالت بصوت خفيض : صعب على أن تضيـــع فجئتك لاردك الى الحياة

قال وهو يقبل طرف ثوبها : شكرا ، شكرا وحمدا لله الذى لم يكتب بظلال الدوائر المائية على صفحـــة اللجة شماتة العدم بالوجود

حقا ، كل موجود الى عدم ، وكل حى الى زوال ... لكن

ما أتعس من يختطفه العدل من بين ذراعى الوجود قبل ان ينال حظه المرغوب ...

ثم انتفض فى انتعاش واقترب منها قائلا :

كنت فى شك من تلقى حكم البراءة منك وكأن النسيم حمل بشير هذا الحكم قبل مجيئك فالجمنى وقيد يدى مع ان الساعة كانت قد دقت دقات التنفيذ ...

سبقتك أنفاسك الى فبعث الامل فى صدرى .. فآه من هذه الانفاس !! ...

هى الشعلة التى أرسلتها الى حاملة المشعل
هى الحرارة التى هدأت جأشى وحركت قلبى
هى العاطفة التى تسربت الى فؤادى فى لطف وحنان
هى همسات الهوى فى أذن الواجد
هى دلائل العطف تفيض بها رحمة الخالق
هى معناك يشيع من عند الله
لقد طلبت الموت تحقيقا لمشيئتك
وهانذا أعود للحياة تحقيقا لرغبتك
اذن فلتكن ارادتك

وسكت طويلا وهو يتأملها بعينين دامعتين ثم قال بصوت مرتجف النبرات : هو الذى هو الذى يحيى ويميت فهل منحك الاله قدرة من عنده فأحييت ثم أمت وأخيرا بعثت فأحييت الى الحياة !

ولكن لم حكمت على بالاعدام وجرمى اننى أحبك فى جنون

قالت فى هدوء لطيف : شئت أن أقتل حبيبى ، اذ لا يمكن أن أكون له لاحتفظ بأخى ، فقد يمكن أن أكون اختا له !

قال : وهل تظنين ذلك ممكنا ؟!

قالت : بالتأكيد !

قال : لو فرضنا ان كرامة الحبيب آثرت الاعتزاز بعاطفته أيمكن أن يقنع بأخوة لا تمنحه الا القليل من عطفك وهو يطمع فى كل ما يشمله قلبك من حب وحنان ؟

فأطرقت مليا لتخفى اضطرام عواطفها ثم قالت :

ما ابتعدت عنك الا رحمة بل ولم أصدك الا خوفا عليك

قال ... انى أعرف قلبك ... أعرفه رحيما مؤمنا وهو يربأ بك أن تكونى ظالمة قاتلة ..

فقاطعته فى ثورة : زوجك .. زوجك .. لا أنكر ان روحك تماثل روحى ، ولكن هناك حاجزا لا يمكن اجتيازه ... ان

ضميرى يلازمها فكيف اعيش معك بدون ضمير ... ذلك فوق طاقتى ...

فقاطعها : ليست قوى العالمين بقادرة على الحيلولة بيننا

قالت فى بطء واتزان : عيبك قيادة عاطفتك لعقلك

امراة واحدة تحول بيننا .. ونظرت بعيدا كانها تستلهم هذه المراة .. واردفت : اما ان اقتل نفسى لاحيى امراة استمد من حياتها قوة تعيننى على تحمل آلام الحب ان تمكن من قلبى ذاك الحب حقا !

واما أن أقتل هذه المرأة لاحيى امراة بغير ضمير منبوذة من نفسها ، مكروهة من غيرها ، وانا لست من الجهالة او الانانية بمكان حتى اضحى بغيرى فى سبيل حياة يمكن تكييفها على صورة أخرى ترضينى وتسعدنى بقدر على الاقل

ولو كان فى هذه الاثرة منفعة للمجتمع أو الوطن لهان الامر وهبنى ارتضيت بك ، فسأعيش بجانبك يعذبنى شبح الشك القاتل ، فاتوقع دائما خيانتك وغدرك وهجرك ، وقد اتصور أحيانا أنك حننت الى امرأتك الاولى وانك عدت اليها خلسة وقد يستبد بى الوهم فأتخيل انك مللتنى كما مللتها وافسر كل سكون لك بالجحود وكل ألم طارىء بالجحود وكلما تأخرت خارج دارى لعب الشك بخاطرى ، من السهل يا أخى أن أحقق رغبتى — لكن من يضمن لى سعادة هذه المرأة المنكوبة؟ من يكفل لى مستقبلها الهنىء ؟ لو انها كانت تكرهك ، لهان على المصاب فقد يكون هناك من تحبه ويحبها ويترقب تحريرها ليتزوجها ولكنها تحبك ، تحبك حبا عنيفا أكثر من حبك لك بلا ريب . ومن أجل هذا الحب تغار عليك ولو انها كانت فطنة وخبيرة بقلوب الرجال لعرفت كيف تقيدك بجوارها الى الابد ...

أليس الاصوب أن تعتمد على اخوتى لتصون كرامتى وتحتفظ بحنانى لترعى حرمتها وبذلك تكسبنا معا فلا تفقد زوجة قد يكون من الخير استبقاءها ؟

هنا بلغ الاسى من قلب الرجل أعمق مكان فيه فقال :

وما السبيل اذن ولا حياة لى بدونك ؟ ثم أخرسته اللوعة فاخفى وجهه بيديه ليخفى مدامعه ...

اى امراة مهما يبلغ بها الجحود لا تتاثر بذاك المشهد المروع؟

اى امراة لا تجاوب هذه الدموع بالدموع !

اى امراة لا تخضع لهذا الحب بالخشوع !

تألمت وبكت ، وحاولت أن تخفف عنه فلم تتمكن لان لوعتها أخرست لسانها وحبست أشجانها فآثرت أن تتركه قبل ان تخور قواها وتخضع لمشيئته وتحولت عنه متأهبة للخروج

قال فى توسل :ـ يجب ان أقرر مصيرى أمامك :

الموت أو الحياة

ولمحت بوادر التنفيذ والعزم بادية عليه فخافت وانتفضت كعصفور جريح وغمغمت :

ستحيا ... ويجب ان تعيش !!

وتركته وخرجت مسرعة قبل ان يتمكن من استبقائها فارتاح الرجل الى قولها وفسره بالرضا وانها باقية عليه فاطمأن وشعر باحساس منعش يرتاد جنبات نفسه وقضى ليلته يشعر بشعور السجين الذى أطلق سراحه فلم ينم طوال الليل وراح يفكر فى مصيره السعيد المقبل ويرسم بخواطره صور الحياة المرتقبة ، الحياة العامرة بأطايب الوجود ، والمليئة بمفاتن المباهج والمسرات حتى بدا الامل على وجهه مشرقا بساما فراح يغنى انشودة الفرح ، شاعرا بأن الوجود يبتسم له فانتشى متخيلا أن كل ما يحيط به يشاطره مسرته وسعادته

ولاول مرة ، رأت زوجه علائم البشر ترفرف كالنور الهفهاف على المنزل

فابتسمت واقتربت من زوجها تفتح له صدرها وتناغيه بقلبها ...

ولم يشأ ان يشوه جمال السرور فشاطرها المناجاة والدعابة ، وكان ذلك اليوم الوحيد الذى شعرت فيه بدفء حنانه فاقتربت منه صافية تسامره وتداعبه وتضاحكه وبودها لو تمر عجلات الايام سراعا ويظل هكذا بجوارها ... وتعمد بدوره أن يمنحها كل ما ترجوه كريما ، لقاء أمله المحقق أو لعله شاء ان يضفى شعوره السعيد على كل ما حوله

وبكت المرأة طربا متمتمة : ... آه لو كنت دائما هكذا تمنحنى من نفسك هذه المسرة وذاك الرضا اذن لكنت أسعد امرأة ، ولم تدر المسكينة أنه يمنحها زكاة السعادة التى يحلم بها

وطلع النهار فاذا بالشروق يبدو فى ناظريه جديدا جميلا رائعا يحمل معه أضواء الاحلام والآمال

وخرج الى المدينة يمر بالمساكن والمتاجر ليختار لها سكنا جديرا بها ورياشا يليق بمكانتها عنده ليعبر عن مبلغ حبه واعزازه ، وهيأ كل شىء .

ولم يبق أمامه غير تنفيذ الخلاص من زوجه ... يريد أن يخلصها بأقصى سرعة ولقد دفع لها ثمن آلامها بما أسبغه عليها من سعادة ومتعة فى آخر ليلة

اذن لن تشك فيه عندما يطلب منها السفر الى أهلها لقضاء بضعة ايام هناك ...

ودخل عليها يتكلف الغيظ والهم وأخبرها انه انتدب فى الصعيد لمدة شهر بدل موظف مريض وعليها أن تذهب لاهلها بدل ان تمكث وحدها حتى يعود ...

وتألمت المرأة وأظهرت له استعدادها لمصاحبته أينما يذهب ولكنه أقنعها بضرورة السفر الى أهلها ...

وسافرت غصبا كارهة متألمة وطلبت منه فى رجاء حار واخلاص اكيد أن يطمئنها عليه من حين الى حين وراحت تقدم له النصائح بضرورة العناية بنفسه وصحته

وافترقا على أمل أن يلتقيا بعد شهر

***

وما كاد يخلو بنفسه ويشعر بخلو المدينة من زوجه حتى تنفس الصعداء وأحس ان كابوسا رفع من على كاهله بعد ان أثقله حمله بعض السنين

وبعث الى فتاته يطلب منها تحديد ميعاد للقائه وفى نيته أن يفاجئها بما أعده لها من أسباب الراحة والطمأنينة

وانتظر جوابها فلم تفعل ، وظن أنها ستفاجئه بحضورها فلم تحضر أيضا ...

وعاد يكتب وانتظر أياما فلم تجب !

ومرت الايام فى طى الاسابيع وهو يحاول لقاءها فى الامكنة التى ترتادها فلم يتمكن من رؤياها ...

وعاد الرجل الى هلعه وقلقه وراح ينتظر مصيره المحتوم فى جزع والم ...

وعلى غير ارتقاب جاءته رسالة من صديقة لها تخبره بأن فتاته معلولة وان الاطباء حتموا عليها ضرورة الذهاب الى مصحة حلوان

ولكن شقيقها صعب عليه أن يتركها وحيدة فصحبها معه الى أقاصى الصعيد معتمدا على الله وعلى شمس هذه البلاد الشافية ...

كل شىء تضاءل أمام ناظريه الا صورتها الوضاحة المشرقة انها مع شقيقها تحت رقابته ... اذن فلن يتمكن من

مراسلتها بدليل انها كلفت صديقة لها ...
انها تحبه بلا ريب ...
وحيال هذا الخاطر الذى تصوره راح يعيش مع امله الذى يبعث الطمأنينة فى نفسه ، فيتخيلها عوفيت ، وعادت اليه ثم يتصورها زوجة حبيبة ساهرة عليه تعيش معه وتحت ناظريه
ولم يفكر مطلقا فى غدرها اذ كانت صورتها الباهرة وحيويتها البارزة أقرب الاشياء الى قلبه
وظل وحيدا يقضى نهاره متشاغلا بعمله وليله يناجى خيالها ويتعزى بقدرة شبابها على مغالبة ذاك المرض الفتاك
ان صديقتها لم تقل فى أى بلد هى ... ولم تعد تكتب اليه ... ويحاول ان يستشف أخبارها من عارفيها فلا يهتدى يقولون سافرت ... ولكنهم لا يعلمون من أمرها شيئا ... ما أشبه قلقه على الرغم من الامل الذى يلازمه
وفى صباح يوم ماطر كان يناجى خيالها فى غرفته جاءته رسالة من صديقتها
عرف خط الصديقة فارتعشت آماله واضطرب وغمغم ... عله بشير اللقاء ... ولكن لماذا لم تكتب هى ... وشعر باحساس مبهم يحز فى نفسه فتوجس خيفة وارتجفت آماله وهو يقرأ الخطاب :
ماتت الفتاة ...
سقطت الزهرة الناضرة من على الغصن قبل ان تكتمل ذهب امله الوضاء ، وتلاشى حلمه الباسم .
مات قلبه الخافق وهدأ روحه الطائر
ماتت فتاته معقد آماله وباعت نعيمه ومرفأ حياته
بكى بقدر حبه وولهه وصمم عزمه على ان يعيش راهبا ... لقد ذهبت زوجه الاولى لغير رجعة ، ولم يعد يطمع فى ان يتقرب الى اى امرأة او يعاشر اى امرأة ... لقد اجفل قلبه ولم يعد يحن للنساء ...
وقضى وحيدا بعض أعوام وقد شاب رأسه من فرط همه وحزنه حتى اضطر تحت تأثير رجاء الاصدقاء ان يتأسى ثم يتناسى ...
وعاوده حنينه الى المرأة ولكن أية امرأة ترضيه ؟ لم يعد يشتهيها ولكنه يريدها خادمة تسهر على راحته بعد ان بلغ من الكبر عتيا ... فاى امرأة ترضى برجل محطم حيث ولى شبابه ووهنت قواه وخبا نور بصره ... وهو ليس من

الثراء بمكان حتى يغرى المرأة بماله فتنسى الشباب والقوة والحياة بالمال الطائل ...

وبدأ يتعذب من جديد ويأسف على عمر مضى فى خدمة الحب الضائع ...

وتذكر زوجه الاولى ... ان ابنه البكر يلح عليه من حين الى حين لكى يرد أمه الى بيته ليعود الى الاسرة طمانينتها وهدوؤها ... وقد ابت الزوجة ان تجنح الى زوج آخر

ولقد كان الى الامس القريب يرفض الوالد رجاء الابن ولا يسمح له بالتحدث فى هذا الشأن

اما اليوم فانه لا يرى غضاضة فى اعادتها لانه فى حاجة الى رعايتها

ولقد قضت المسكينة هذه الاعوام الطوال ساهرة على تربية أولادها حريصة على الوفاء له .. فما أحراها اليوم بتبديد يأسها وحزنها فى أواخر أيامه لكى يموت مطمئن الضمير ، على الاقل ...

وجاءه ابنه البكر كعادته فترك الاب له حرية الكلام وتمنى لو يعرض عليه رد أمه ليقبل رجاءه فورا ولكن الابن لم يتحدث فى هذا الشأن بل بدأ والده بقوله : ابى ... هانذا أقوم بشئون حياتى وحياة أمى واخوتى وحدى راضيا سعيدا اذ أخفف عنك عبء الحياة التى عانيت فى سبيلها شتى المتاعب من اجلنا

ولم يعد ينقصنى فى الحياة سوى قلب استمد منه القوة وروح أستعين بها على صد نكبات الدنيا

فهز الرجل راسه وقد أطل شبابه الذاوى من وراء ستار الغيب يبتسم ابتسامة عريضة ويذكره بايامه الخوالى وغمغم : جميل أن يكون هذا شعورك ياولدى ... فوضح مشيئتك لاساعدك على تحقيقها

قال الولد : أريد أن أتزوج

فهلل الوالد وكبر ، وقبل ولده قائلا : وافرحتاه ! .. هذا مناى ياولدى ! ولكن بمن ؟

فأجابه على الفور ... بابنة ...

الوالد ... يفكر مليا ، أنا لا أعرفه ...

الولد ... رجل طيب جدا سيعجبك

الوالد — وهل تعرف الفتاة ... أن الزواج مهمة شاقة ، فيجب أن يتعاون العقل والعاطفة معا

فقال الولد : أفهم جيدا مهمتى كزوج وأب وفى الواقع لقد

حدقت مرماى على ضوء عقلى وقلبى ، اذ لا اريد أن اخطىء كما اخطأت ـ هذا اذا اعتقدتا انك اخطأت فى اختيار زوجك اعنى أمى ... لانك تزوجتها تحت تاثير رغبة اهلك ودون ان يالفها قلبك من قبل !!

الوالد : معك الحق ياولدى ! فعلام عولت ؟

الولد : تحضر معى لمقابلة والدها ولكى ترى العروس

الوالد : ضاحكا ... مادمت معجبا بها فهى تعجبنى ...

ثم صمت مليا مفكرا وعقب : انا اعرف انك عاقل ولست فى حاجة الى ان انبهك الى الاخطاء الشائعة فى هذا العصر كان يعجب الشاب بفتاة فيظن انه احبها فيتزوج بها دون ان يتاكد من حقيقة ميولها فاذا جد الجد وطالبت الحقيقة بنصيبها منك ومنها ، تمخض الواقع عن اكذوبة هائلة وخدعة مخزية ، وفشل على طول الطريق

ونصيحتى لك ياولدى ان تنظر اليها بعينى قلبك على نور عقلك ، فاذا تاكدت من انها تصلح ان تكون ملكة اذا توجك القدر ، او تبادلك الحرمان بالحب اذا عاداك الدهر قانعة بالقليل اذا حرمتك الدنيا اطايب الوجود .. تزوجها

فقال الولد : سترى انها اعظم من ذلك يا ابى ! فهل تسمح بمصاحبتى الآن لنقابل والدها ، لاننا على موعد

وبعد ساعات كان كل شىء انتهى حسب رغبة الولد وبدا العريس يهنىء نفسه واهل العروس يتاهبون لاعداد مراسم القران

***

ثم عقد القران ولم يحاول الوالد ان يتدخل فى شئون ولده الخاصة ليكون وحده المسئول امام نفسه عن نتيجة هذا الزواج الذى يتمنى ان يكون التوفيق حليفه .

ولما استقر بهما المقام فى بيت العروس دخلت أمها لتهنىء والد العريس

ورفع الوالد الشيخ نظره ليحيى ام العروس وقد اجفل عندما سمع صوتها الذى رده الى الماضى البعيد ... صعق وحملق فيها وهو كالمشدوه وقد ارتعشت اطرافه وتقلصت يده الى حد الجمود حتى صعب على الام أن تسحب يدها من يده ...

كانت باسمة هادئة تنظر اليه فى اطمئنان وهو كالصنم الاخرس ... ظل امامها محملقا لا يقوى على الكلام

واخيرا تمتم بصوت مرتعش ، أيمكن هذا ؟ لقد تغير الزمن وشاب ، وهى شابة ناضرة المحيا وثابة الروح كما عرفها ثم رفع بصره اليها ليقول بصوت مرتجف .

حضرتك حماة ولدى قالت ببسمتها التى كانت تفتح له آفاق الغيب السعيد ، أجل (سخاء) .. وجلست بجانبه لتبدى اعجابها وحبها لولده فعاد يغمغم والدهشة تبتلع بعض الفاظه ، أترأى فى حلم ؟ أم ترأى كنت ميتا ثم بعثت اليوم من جديد ؟ .. فقالت بهدوئها الساحر : قد يميتنا اليأس كل يوم والامل يحيينا من جديد ؟ .. ان الارواح لا تموت أبدا .. أبدا

قال : هذا لا شك فيه ... انما قولى ، لا تشيب ابدا .. فهل ترين روحى شابة كروحك ... فضحكت وهى تقول : انها فى عينى كذلك ...

ودخلت أم العريس ... لتعانق أم العروس مهنئة ... وبعد عقد قران العروسين .. سائل والد العريس نفسه أتراها ... لم تزل تحبنى ... ورفع راسه ليسأل عينيها ؟ فاذا بها تتأمل ابنتها وعريسها فى شغف وحب وسعادة ... بينما تصافح أم العريس قائلة :

يجب ان يكون فرح ولدينا فاتحة لعودتك الى زوجك فعاونينى على ذلك ...

وهنا كان والد العريس يستمع الى همساتها فلم يكد يسمع ذلك حتى انتابته نوبة القلب التى كانت تواتيه من حين الى حين ووقع على الارض ...

وعندما جاء الطبيب وجده جثة هامدة ...

(تمت)